حكايتي مع دريد بن الصمّة

أحمد عمر

زعم خبير في الاجتماع الإنساني أنّ وسائل التواصل الاجتماعي قرّبت البعيد وأذابت الحواجز، وما أكثر الخبراء هذه الأيّام، وما أسهل الألقاب في وسائل التواصل، وأيسرها وأرخصها! وإنْ أكثرها فشواً وشيوعاً لقب الخبير الاستراتيجي، لكنّي لا أوافق الخبير في دعواه، فقد أبعدت القريب، وأذكت بيننا العداوةَ والبغضاءَ أيضاً، وكشفتْ ما في الصدور، وكنّا مغمورين في نعماء الستر، التي ليس بعدها نعمة، فقد جعلتنا مكشوفين عراةً من غير ورقة توت أو سرو.

وقد حاولتُ الاتصال بمن تذكّرت من أترابي وزملاء الدراسة والطفولة والصبا والشباب، فبحثت عنهم ونقّبْت في الصفحات، واتصلت ببعضهم، وجهدت في الاتصال بآخرين لعلّهم أبوا إنشاء حسابات لهم، استتاراً أو تقيّةً أو لحرمانهم من الكهرباء، أو أنّهم أنشأوها باسماء وكنى مُستعارة. وكان منهم زميلي في «البكالوريا» (الثانوية العامة) خير الله، بطل قصتي هذه، وجاري الذي سقط من عيش، فلا يكسُ الرجل، ولا تلين له عريكةً، وكأنّه المُكلّفُ الزحفَ ناحيةَ هذه القوى مُدافعاً ومُنافحاً ومُحارباً بكامل صحّته وعروقه وأوداجه، وذخيرته الكلامية شبه المحفوظة للأسف منذ سنوات. كان من الأولى بإبراهيم عيسى أن يترك هذا العَلَف الأيديولوجي المنتصر لقادة «إسرائيل» العسكريين على الأقلّ، فهم الأولى بذلك، ولكنّ الرجل تعوّد صيدَ مثل ذلك الصيد السهل بالكلمات والكلمات والعبارات الرنّانة، يملأ بها شباكه خلال عقد من الزمان وأكثر، سواء في قناة الحرّة أو «تكويناته» المختلفة، أو المحتملة، وفقاً لكمّية المياه التي في قربته، وعدد السهام والنبال التي يحملها خلف ظهره، أو مزاج صاحب المحلّ. واضح أنّ لقمةَ العيش المغموسة بخطاب الفظاظة، وثقل الظلّ، انتقلت أخيراً بسهولة وبيسر إلى خطاب الدم والتشفّي فيه، رغم أنّها دماء عربية، خطاب إعلامي مُؤجّر ومسلّط بواسطة لسان عربي، وبإعداد عقول عربية ليلاً ونهاراً، يكتفي بعضهم أحياناً بالغمز تارةً واللمز تارةً، إلّا أنّ إبراهيم عيسي يجاهر بأطروحاته الفكرية نافخاً عروقه أمام الكاميرات، وكأنّه لا يتحدّث في دماء أكثر من أربعين ألف وزيادة من أهل غزّة، وكأنّه يتكلّم عن الفنّ ومحمود شوكو وتياتروهات» روض الفرج، أو السيناريو الذي يكتبه لرمضان بعد القادم عن بحور الدماء التي جرت أنهاراً ما بين الطالبيّين وخصومهم، وكأنّ المباراة صارت تجارةً رخيصةً، والكسب من خلالها لا يتطلّب إلا سماكة الجلد والنطاعة والاستهبال ومحاولة التفسير بأيّ منهج. كان يجب على من يقرأ الكتب على الأقلّ (وليس على المثقف أو كاتب القصص والروايات ومفسّر شخصيّتي الفاروق وأبي بكر) أن يكون همّه المعرفة والتدقيق فيها، وليس استغلال الأحداث طريقاً سهلةً ومُمهّدة للسياسي كي ينال البركة، أن يعبّد الطريق للعقول القادمة. وليس منظراً لآلة العسكرية بحكم غَلَبتها، ومعروف أنّ أغلب التاريخ مُزوَّر لصالح الأقوياء، وأصحاب الشركات والأسهم الرابحة الآن، فهل تحتاج الآلة العسكرية الإسرائيلية العالية إلى فكرٍ إبراهيم عيسى وشروحاته ونبالته الفكرية في مقابل أجر. هل الظهور في الوقت الخطأ يُعَدّ من الشهوات التي لا يجد صاحبها طريقاً إلى الجمهور، خصوصاً لو كانت الكاميرات الناقلة هناك مصوَّبةً على شحم ولحم هذا الباحث عن ذلك الظهور، فما بالك لو كان يقبض الثمن من بعد ذلك سخياً!

خطاب المنتصر حينما تسنده الوقاحة اللازمة

عبد الحكيم حيدر

عوّدنا السيد إبراهيم عيسى (شدّ الله من متانة بنيانه وزاده بسطة) دائماً، وأبداً، ذلك الخطابَ المموج، خطاب مُلاينة المنتصر ودغدغة ما تحت إبطيه بعد كلّ نصر يحرزه، وهو على دراية تامّة بعدم لياقة هذا الخطاب أبداً، وخصوصاً حينما يصبح المواطن بلا حول ولا قوّة، وفي أيّام سوداء وانهزامية.

خطاب يحمل من المنطق المشكول في مدى منطقيته كمّاً لا يُستهان من الاستعباط والتشفّي في المهزوم عسكرياً أو أيديولوجياً، وهو يعرف بالطبع تمام المعرفة أنّ العالم كلّه يدافع عن «إسرائيل»، حتّى وإن مُسَّ لها جناحٌ بعوضةٌ، ولكنّ الرجل بالطبع يدلي بدلوه، ويأكل من الطبق نفسه، ومن المنطق نفسه وكلمات التشفّي، هو دائماً ضدّ الضعيف، حتّى إن أمسك نبلةً أو حجراً. دائماً هو حُجّة عالية الصوت والسند والنفير لأهل الغلبة، والضعاف دائماً عنده السبب في ما حدث لهم، وعليهم أن يُنصتوا إلى العقل دائماً، ولا يُلزم القويّ بالعقل أبداً، لأنّ تلك الشيمة تُعلّم الضعفاء أن يكونوا غيرَ مُهذّبين، أما كفاهم أنّهم ضعفاء، من الأصل؟! ... هذا للأسف مجمل خطابه، الذي ينفخ فيه منذ سنوات بنفعات مختلفة، وفي كلّ حدث.

لا يشبع عيسى من هذا العلف الفكري أبداً، علّف انتصاراته على خصومه الضعفاء، وعلّف طبوله التي تدقّ مساءً في القنوات الفضائية، التي ينتقل إليها بسهولة وبيسر، فالرجل دائماً يرحل من قناةٍ إلى قناة بقربة مياهه وبسهامه وبتروسه وبطلقاته التي يدافع بها عن محراب السلطة الحامية هنا وهناك، حتّى إن طال موت أهل غزّة الآفاً مؤلّفة، أو حتّى فقراء قفزوا إلى المراكب في البحر بحثاً عن لقمة عيش، فلا يكسُ الرجل، ولا تلين له عريكةً، وكأنّه المُكلّفُ الزحفَ ناحيةَ هذه القوى مُدافعاً ومُنافحاً ومُحارباً بكامل صحّته وعروقه وأوداجه، ودخيرته الكلامية شبه المحفوظة للأسف منذ سنوات. كان من الأولى بإبراهيم عيسى أن يترك هذا العَلَف الأيديولوجي المنتصر لقادة «إسرائيل» العسكريين على الأقلّ، فهم الأولى بذلك، ولكنّ الرجل تعوّد صيدَ مثل ذلك الصيد السهل بالكلمات والكلمات والعبارات الرنّانة، يملأ بها شباكه خلال عقد من الزمان وأكثر، سواء في قناة الحرّة أو «تكويناته» المختلفة، أو المحتملة، وفقاً لكمّية المياه التي في قربته، وعدد السهام والنبال التي يحملها خلف ظهره، أو مزاج صاحب المحلّ. واضح أنّ لقمةَ العيش المغموسة بخطاب الفظاظة، وثقل الظلّ، انتقلت أخيراً بسهولة وبيسر إلى خطاب الدم والتشفّي فيه، رغم أنّها دماء عربية، خطاب إعلامي مُؤجَّر ومسلَّط بواسطة لسان عربي، وبإعداد عقول عربية ليلاً ونهاراً، يكتفي بعضهم أحياناً بالغمز تارةً واللمز تارةً، إلّا أنّ إبراهيم عيسى يجاهر بأطروحاته الفكرية نافخاً عروقه أمام الكاميرات، وكأنّه لا يتحدّث في دماء أكثر من أربعين ألف وزيادة من أهل غزّة، وكأنّه يتكلّم عن الفنّ ومحمود شوكو وتياتروهات» روض الفرج، أو السيناريو الذي يكتبه لرمضان بعد القادم عن بحور الدماء التي جرت أنهاراً ما بين الطالبيّين وخصومهم، وكأنّ المباراة صارت تجارةً رخيصةً، والكسب من خلالها لا يتطلّب إلا سماكة الجلد والنطاعة والاستهبال ومحاولة التفسير بأيّ منهج. كان يجب على من يقرأ الكتب على الأقلّ (وليس على المثقف أو كاتب القصص والروايات ومفسّر شخصيّتي الفاروق وأبي بكر) أن يكون همّه المعرفة والتدقيق فيها، وليس استغلال الأحداث طريقاً سهلةً ومُمهّدة للسياسي كي ينال البركة، أن يعبّد الطريق للعقول القادمة. وليس منظّراً لآلة العسكرية بحكم غَلَبتها، ومعروف أنّ أغلب التاريخ مُزوَّر لصالح الأقوياء، وأصحاب الشركات والأسهم الرابحة الآن، فهل تحتاج الآلة العسكرية الإسرائيلية العالية إلى فكرٍ إبراهيم عيسى وشروحاته ونبالته الفكرية في مقابل أجر. هل الظهور في الوقت الخطأ يُعَدّ من الشهوات التي لا يجد صاحبها طريقاً إلى الجمهور، خصوصاً لو كانت الكاميرات الناقلة هناك مصوَّبةً على شحم ولحم هذا الباحث عن ذلك الظهور، فما بالك لو كان يقبض الثمن من بعد ذلك سخياً!

ضد شماتة سوريين بحزب الله

حسين عبد العزيز

يكون هذا الطرف قد أوقع قتلاً بالطرف الشامت المظلوم، وإن يكون سببُ القتال بين الطرفين مُتعلّقاً بالإيمان والكفر: «قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ. وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (التوبة: 14، 15).

نظرياً، الشماتة فعلٌ مناف للأخلاق والقيم الإنسانية، لكن عملياً ثمّة صعوبة بالغة جداً، إن لم تكن مستحيلة في مطالبة البشر (ضمن ظروف معيّنة) بالامتثال للمُثل الأخلاقية والعمل بمقتضاها، ذلك أنّ حضور القيم العُليا، أو الإنسان الأعلى وفق تعبير نيتشه، تبقى وفق الإمكان النظري الذي يصبو إليه الإنسان في إنسانيته، لكنّها تسقط في كثير من الأحيان على مذبح الواقع المُفتقد للعدالة وللقيم الإنسانية، والمتلئ بالظلم، وما الشماتة إلّا فعل فطري. هنا نحن أمام توتّر معرفي. أخلاقي، فأيّهما المعيار؟ هل انفعالات الإنسان هي المعيار، أم المثال/ القيم هي المعيار ومناط السلوك؟ ... إنّ البعد الأخلاقي هو المعيار الأول والرئيس، وهو ما يجعل الإنسان إنساناً.

يظهر التوتّر اليوم خلال السجالات الحادّة في وسائل التواصل الاجتماعي بين جمهرة من السوريين أبناء الثورة، وبين فلسطينيين، حيال عمليات القتل التي يتعرّض لها عناصر حزب الله خلال قتالهم إسرائيل. فرح بعض السوريين وشمتوا بقتلى حزب الله بغضّ النظر عن الجهة القاتلة، وضمن أيّ منظومة سياسية وأخلاقية يجري فيها الصراع، لقد تجاهل هؤلاء إسرائيل عدوّاً وجودياً للأمة العربية، وبتجاهلهم هذا ظهروا مؤيدين لإسرائيل في الظاهر، وهو ما يخالف موقفهم الحقيقي، الذي يعدّ القضية الفلسطينية قضية وجود، وجزءاً من الهُوية السياسية لهم. وإذا كان سلوك التشفّي هذا قد أثار استياء كثيرين من العرب والفلسطينيين، فإنّه طرح تساؤلاً مهمّاً: هل قتال حزب الله ضدّ إسرائيل يشفع له ولعناصره ما ارتكبوه في سورية؟ وفي المقابل، هل ننفي عن الحزب أيّ بُعدٍ أخلاقي في قتاله إسرائيل بناءً على ما فعله في سورية قبل سنوات؟

لا أحدَ يُنكر الفعل غير الأخلاقي لحزب الله، ليس فقط حين قرّر الوقوف إلى جانب نظام استبدادي بتأييده سياسياً فحسب، بل أيضاً حين شارك عملياً في قتال السوريين الثائرين، فكان فاعلاً في إيهاض حلمهم في التغيير، بالقضاء على الاستبداد، وفتح الطريق نحو إنسانية اجتماعية واقتصادية وسياسية حلم بها جمهور كبير من الشعب السوري، ثم مضى بتشويه هذا الحلم، والسخرية من هزيمتنا.

ثمّة غضب على حزب الله، ليس بسبب قتله سوريين إلى جانب النظام فحسب، بل لأنّ سوريين كثيرين في المناطق الحدودية مع لبنان فتحوا بيوتهم عام 2006 أمام آلاف اللبنانيين من جمهور حزب الله، وهو الحزب الذي قتل وهجّر عشرات الآلاف من سكّان القلمون السوري، من القصير شمالاً وحتّى الزبداني جنوباً. لم يكتف بذلك، بل ذهب إلى أبعد، حين اعتبر الثورة السورية معادية للقضية الفلسطينية، قال أمين عام الحزب، حسن نصرالله، إنّ «طريق القدس يمر بالقلمون والزبداني والسويداء والحسكة» (10/7/2015)، وما إلى ذلك من أقوال شيطنت الثورة السورية، ووضعتها في مصاف الخيانة للأمّة العربية وقضيتها الوجودية الأولى، قضية فلسطين. ويمكن القول أكثر من ذلك، لقد أطلقَ الحزب العنان لإعلاميّيه للشماتة بالقتلة السورية، وهناك مقاطع فيديو كثيرة في «يوتيوب» توثّق هذه الشماتة، وتكشف المستوى المتدنّي جدّاً فيها عبر الإستهانة بالدم السوري.

الأمثلة لا تُعدّ، وقد بلغت شماتة جمهور النظام السوري وحزب الله بأهالي الثورة السورية مبلغاً دفع صحيفة «يديعوت» إلى نشر مقال عام 2016 بعنوان «مُؤيّدو الأسد وحزب الله يشمتون من جوع أهل مضايا»، تحدّثت فيه عن وسم «متضامن مع مضايا»، أنشئ في مواقع التواصل الاجتماعي من قبل مُؤيّدي الأسد وحزب الله، ليس للمطالبة برفع الحصار عن البلدة، بل بغرض الشماتة من حصار أهل المنطقة، التي احتضنتهم مسبقاً في 2006. وقد أثار الوسم آنذاك موجةً من الغضب، ووصفت الحملة بالسادية والمأفيرة للاشمئزاز بشكل لا يُصدّق.

أخيراً، في نعيه قائد كتيبة الرضوان، إبراهيم عقيل، كتب حزب الله: «كان من القادة المجاهدين الكبار الذين خطّطوا وأداروا العمليات ضدّ الجماعات التكفيرية على حدود لبنان الشرقية، وفي القصير والقلمون، وبقيّة المناطق السورية». لا ينبغي تجاهل ما جاء في هذه النعوة، لأنّها تساوي السوريين بالإسرائيليين، وما عبارته «الجماعات التكفيرية» إلا تضليل أيديولوجي، فلم يكن القلمون الغربي ساحةً للجماعات التكفيرية (على ما في هذا التعبير من تضليل حين يُعمَّم)، بل ساحةً رئيسة للجيش السوري الحر.

مع ذلك كله، من المهم التأكيد على نقطتين: الأولى أنّ فعل التشفّي مرفوض في ذاته عقلياً وأخلاقياً، ثانياً، ضرورة إجراء فصل حدّي بين الظالم، الذي وقع عليه الأذى، والطريقة التي وقع فيها الأذى، وأيضاً الجهة التي صدر منها الأذى، وهذا تمييزٌ جوهري، فلا يُعقل أن يتناسى السوريين أنّ عناصر الحزب يُقتلون الآن وهم في مهمّة عظيمة في نصرة غزّة، التي خذلتها الأنظمة العربية والشعوب العربية وتركته تلاقي مصيرها. فعل التشفّي مرذول لأنّه قد يُنحدر بأصحابه إلى مستويات لا تبدو مفهومة عقلياً وأخلاقياً. على سبيل المثال، شماتة بعض السوريين باغتيال إسماعيل هنيّة لأنّه عبر فقط عن شكره لإيران في دعمها المقاومة الفلسطينية في غزّة.

مشكلة هذا النمط من التفكير أنّه صادر عن عقل حدّي، إما أبيض أو أسود، إما وطني أو عميل، إمّا علماني أو إسلامي، إمّا ترانتي أو حداثي، إمّا وطني أو قومي... إلخ، وهذه الحدّية ظهرت بقوّة في العقل السوري بمجمله منذ بدء الثورة، وأعمت السوريين (نظاماً ومعارضة) عن رؤية الواقع وتنوّعاته، وكانت النتائج كارثيةً. عدداً ممّن استاء من زلّات بعض السوريين، فوجعهم الدم ومصابهم كبير، كما هو مصاب أهلنا في فلسطين.

(من أسرة تلفزيون العربي)

> ظهرت الحدّية بقوّة في العقل السوري بمجمله منذ بدء الثورة، وأعمت السوريين نظاماً ومعارضةً عن رؤية الواقع وتنوّعاته

بيئة حزب الله المنذورة للموت

دلال البزري

بيئة حزب الله مزيجٌ من المحيط والحالة والمُناخ. عمّرها حزب الله طوال أربعين عاماً، حجراً فوق حجر. هي الحلقة المُؤيّدة له، ومن دون شروط، وتضمّ الغالبية العظمى من الشيعة اللبنانيين (الجنوب والبقاع والضاحية الجنوبية لبيروت)، ومن حولها حلقة أوسع من حلفاء وياسريين قدماء، ولا نحسبُ هنا المُنتفعين. الآن، بعد ضربة اسرائيل التكنولوجية الصاعقة، التي قتلت وجرحت عدداً من قادة الحزب وأطره، وتلاها تصاعد غاراتها في الجنوب والشرق، ضاعفت من الخراب والتهجير وللحلقة الضيّقة من البيئة، أيّ الشيعة الشماتة بحقّ أبناء هذه البيئة، في وقتٍ لا تحتاج فيه إلا إلى التعاطف والمواساة. لماذا؟ لأنها خضعت خلال 40 عاماً لغسل أدمغتها، ولمحو تاريخها، وللقضاء على حيويتها، بما سهّل على الحزب الإمعان بتثصيبها دروعاً بشرية تستقبل الموت، الآن أكثر من أيّ يوم مضى، بمزيدٍ من الثمن للحزب ولقائده.

ماذا حلّ بهذه البيئة، حتّى نجح حزب الله في تحويلها إلى طائفة لا عصب عندها غير عصب الموت؟ بأيّ مياه سقى الحزب هذه الطائفة للتحوّل من طائفة المتعلّمين المثقّفين النهوض الروائيين الشعراء، ذوي الحيوية والذكاء، إلى طائفة تذهب طائعةً إلى الموت، وتحسُد الذين قضوا، ولا تقيم حداداً على موتى غيرها، بل تُهلّل له. ماذا فعل بها الحزب؟ ... نصّب حزب الله نفسه ناطقاً باسم الله. قادته الأدبيات الدينية إلى العُلا، إذ أبدع في اختراع عبارات الصلة بين دينه والسياسة، إلى درجة أنّ الذين لا يعرفون الإسلام اعتقدوا بأنّه «خارق الذكاء»، عندما يُحكم هذا الربط... القداسة، قداسة الاسم والقادة والنصّ، واحتكار مسالتين: الطائفة والمقاومة. في الأولى، راكم في الربط المُحكم بينه، كياناً حزبياً صارماً مغلقاً سرياً، في الصراع مع الفلسطينيين، يمثل حماقةً كُبرى، لأنّه أفضى اليوم إلى استئصال الصراع في مُختلف الجبهات، بعد نحو ثلاثة عقود عاد فيها نتنياهو مراراً إلى رئاسة الحكومة، وذلك بدلاً من أن يسعى عبر اتفاقات السلام لضمان استقرار «دولته»، وتعزيز وجودها في منطقةٍ يعرف القاصي والداني أنّها غريبة عنها، ومحتلّة لها. لقد قادت تلك الحماقة أخيراً، إلى جانب ممارسات الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية، إلى اندلاع أحداث 7 أكتوبر (2023)، والحرب غير المسبوقة على قطاع غزّة. كذلك اشتعال المعركة مع المقاومة اللبنانية، التي تدخل يوماً بعد يوم فصولاً جديدةً، ما يُنذر بتطوّر الصراع العسكري في المنطقة.

ثالث الحماقات السياسية، التي تستحقّ الالتفات إليها، إقدام نظام بشّار الأسد على قتل مئات الآف من الشعب السوري، وتهجير أعداد أكبر منهم خارج البلاد، سعياً لإخماد الثورة الشعبية التي قامت ضدّه انطلاقاً من عام 2011. سرّ الحماقة هنا أنّ ما فعله كلّه لن يضمن استقرار حكمه في المدى الطويل، ولن يعيد الحياة في سورية إلى ما كانت عليه قبل الثورة، كي يواصل الحكم بالطريقة التي اعتادها منذ ورثه عن أبيه. لقد تغيّر الشعب السوري تماماً.

ثمّة حماقات سياسية أخرى تستحقّ جائزةً فعلاً، على طريقة الورقة النقدية الصادرة من زيمبابوي، منها مقترحات دونالد ترامب عشية مغادرته البيت الأبيض أواخر عام 2020، في شأن الحلّ النهائي للقضية الفلسطينية، وسمّاها «صفقة القرن». لقد اعتمد مقاربةً مالئةً ظنّاً منه أنّ كلّ شيء يخضع لمنطق «البزنس»، لعلّه لم يسمع بالمبادئ الوطنية والدينية التي تدفع الفلسطينيين والعرب والمسلمين إلى التمسّك بأرض فلسطين. أليست تلك حماقة؟

على مستوى أصغر قليلاً، هناك حماقات سياسية عربية عديدة، أبرزها جنوح بعض قادة الدول، التي شهدت ثورات الربيع العربي، إلى التمسّك بالسلطة عبر الاعيب سياسية ظنّوها ذكية، واثبتت الأيام أنّها كانت حمقاء، كتحالف الرئيس اليمني السابق علي عبد الله صالح مع الحوثيين، خصومه السابقين، ما أفضى تالياً إلى مقتله.

(كاتب من الأردن)

> عقدة النقص تجاه التفوّق الإسرائيلي عزّزت لازمة «النصر» عند حزب الله، فكلّ من يحارب إسرائيل، أو يخيفها، يرتفع إلى مستوى البطولة القصوى

إسرائيل، إنّما سورية، مثلاً، إذ «انتصر» الحزب في سورية بأن شارك بشّار الأسد في قتل أهلها وتعذيبهم وسرقتهم وتهجيرهم واحتلال بيوتهم. ولا انتصار جوهرة وإعلام و«خبراء» شاشة، بحيث أصبح الانتصار روتينياً، تتلقّفه البيئة في مدار النهار، وهي مطروءة الأصلية والأكثر فعّالية (مثلاً؛ إبراهيم حطيط، صاحب تجربة شبيهة مع «لجنة أهالي ضحايا انفجار المرفأ»، والذي لم نعد نسمع عنه شيئاً، لأنّ الحزب قبل ذلك أوقف التحقيق بجريمة المرفأ).

وتأتي الزبائنية لتبكّل الدائرة. الحزب، بفضل سلاحه ونفوذه، يُؤمّن المساعدات، وتضليل الشيعة بأنّ الحزب العنان لإعلامييه للشماتة بالقتلة السورية، وهناك مقاطع فيديو كثيرة في «يوتيوب» توثّق هذه الشماتة، وتكشف المستوى المتدنّي جدّاً فيها عبر الإستهانة بالدم السوري.

نظرياً، الشماتة فعلٌ مناف للأخلاق والقيم الإنسانية، لكن عملياً ثمّة صعوبة بالغة جداً، إن لم تكن مستحيلة في مطالبة البشر (ضمن ظروف معيّنة) بالامتثال للمُثل الأخلاقية والعمل بمقتضاها، ذلك أنّ حضور القيم العُليا، أو الإنسان الأعلى وفق تعبير نيتشه، تبقى وفق الإمكان النظري الذي يصبو إليه الإنسان في إنسانيته، لكنّها تسقط في كثير من الأحيان على مذبح الواقع المُفتقد للعدالة وللقيم الإنسانية، والمتلئ بالظلم، وما الشماتة إلّا فعل فطري. هنا نحن أمام توتّر معرفي. أخلاقي، فأيّهما المعيار؟ هل انفعالات الإنسان هي المعيار، أم المثال/ القيم هي المعيار ومناط السلوك؟ ... إنّ البعد الأخلاقي هو المعيار الأول والرئيس، وهو ما يجعل الإنسان إنساناً.

يظهر التوتّر اليوم خلال السجالات الحادّة في وسائل التواصل الاجتماعي بين جمهرة من السوريين أبناء الثورة، وبين فلسطينيين، حيال عمليات القتل التي يتعرّض لها عناصر حزب الله خلال قتالهم إسرائيل. فرح بعض السوريين وشمتوا بقتلى حزب الله بغضّ النظر عن الجهة القاتلة، وضمن أيّ منظومة سياسية وأخلاقية يجري فيها الصراع، لقد تجاهل هؤلاء إسرائيل عدوّاً وجودياً للأمة العربية، وبتجاهلهم هذا ظهروا مؤيدين لإسرائيل في الظاهر، وهو ما يخالف موقفهم الحقيقي، الذي يعدّ القضية الفلسطينية قضية وجود، وجزءاً من الهُوية السياسية لهم. وإذا كان سلوك التشفّي هذا قد أثار استياء كثيرين من العرب والفلسطينيين، فإنّه طرح تساؤلاً مهمّاً: هل قتال حزب الله ضدّ إسرائيل يشفع له ولعناصره ما ارتكبوه في سورية؟ وفي المقابل، هل ننفي عن الحزب أيّ بُعدٍ أخلاقي في قتاله إسرائيل بناءً على ما فعله في سورية قبل سنوات؟

لا أحدَ يُنكر الفعل غير الأخلاقي لحزب الله، ليس فقط حين قرّر الوقوف إلى جانب نظام استبدادي بتأييده سياسياً فحسب، بل أيضاً حين شارك عملياً في قتال السوريين الثائرين، فكان فاعلاً في إيهاض حلمهم في التغيير، بالقضاء على الاستبداد، وفتح الطريق نحو إنسانية اجتماعية واقتصادية وسياسية حلم بها جمهور كبير من الشعب السوري، ثم مضى بتشويه هذا الحلم، والسخرية من هزيمتنا.

ثمّة غضب على حزب الله، ليس بسبب قتله سوريين إلى جانب النظام فحسب، بل لأنّ سوريين كثيرين في المناطق الحدودية مع لبنان فتحوا بيوتهم عام 2006 أمام آلاف اللبنانيين من جمهور حزب الله، وهو الحزب الذي قتل وهجّر عشرات الآلاف من سكّان القلمون السوري، من القصير شمالاً وحتّى الزبداني جنوباً. لم يكتف بذلك، بل ذهب إلى أبعد، حين اعتبر الثورة السورية معادية للقضية الفلسطينية، قال أمين عام الحزب، حسن نصرالله، إنّ «طريق القدس يمر بالقلمون والزبداني والسويداء والحسكة» (10/7/2015)، وما إلى ذلك من أقوال شيطنت الثورة السورية، ووضعتها في مصاف الخيانة للأمّة العربية وقضيتها الوجودية الأولى، قضية فلسطين. ويمكن القول أكثر من ذلك، لقد أطلقَ الحزب العنان لإعلاميّيه للشماتة بالقتلة السورية، وهناك مقاطع فيديو كثيرة في «يوتيوب» توثّق هذه الشماتة، وتكشف المستوى المتدنّي جدّاً فيها عبر الإستهانة بالدم السوري.

الأمثلة لا تُعدّ، وقد بلغت شماتة جمهور النظام السوري وحزب الله بأهالي الثورة السورية مبلغاً دفع صحيفة «يديعوت» إلى نشر مقال عام 2016 بعنوان «مُؤيّدو الأسد وحزب الله يشمتون من جوع أهل مضايا»، تحدّثت فيه عن وسم «متضامن مع مضايا»، أنشئ في مواقع التواصل الاجتماعي من قبل مُؤيّدي الأسد وحزب الله، ليس للمطالبة برفع الحصار عن البلدة، بل بغرض الشماتة من حصار أهل المنطقة، التي احتضنتهم مسبقاً في 2006. وقد أثار الوسم آنذاك موجةً من الغضب، ووصفت الحملة بالسادية والمأفيرة للاشمئزاز بشكل لا يُصدّق.

أخيراً، في نعيه قائد كتيبة الرضوان، إبراهيم عقيل، كتب حزب الله: «كان من القادة المجاهدين الكبار الذين خطّطوا وأداروا العمليات ضدّ الجماعات التكفيرية على حدود لبنان الشرقية، وفي القصير والقلمون، وبقيّة المناطق السورية». لا ينبغي تجاهل ما جاء في هذه النعوة، لأنّها تساوي السوريين بالإسرائيليين، وما عبارته «الجماعات التكفيرية» إلا تضليل أيديولوجي، فلم يكن القلمون الغربي ساحةً للجماعات التكفيرية (على ما في هذا التعبير من تضليل حين يُعمَّم)، بل ساحةً رئيسة للجيش السوري الحر.

مع ذلك كله، من المهم التأكيد على نقطتين: الأولى أنّ فعل التشفّي مرفوض في ذاته عقلياً وأخلاقياً، ثانياً، ضرورة إجراء فصل حدّي بين الظالم، الذي وقع عليه الأذى، والطريقة التي وقع فيها الأذى، وأيضاً الجهة التي صدر منها الأذى، وهذا تمييزٌ جوهري، فلا يُعقل أن يتناسى السوريين أنّ عناصر الحزب يُقتلون الآن وهم في مهمّة عظيمة في نصرة غزّة، التي خذلتها الأنظمة العربية والشعوب العربية وتركته تلاقي مصيرها. فعل التشفّي مرذول لأنّه قد يُنحدر بأصحابه إلى مستويات لا تبدو مفهومة عقلياً وأخلاقياً. على سبيل المثال، شماتة بعض السوريين باغتيال إسماعيل هنيّة لأنّه عبر فقط عن شكره لإيران في دعمها المقاومة الفلسطينية في غزّة.

مشكلة هذا النمط من التفكير أنّه صادر عن عقل حدّي، إما أبيض أو أسود، إما وطني أو عميل، إمّا علماني أو إسلامي، إمّا ترانتي أو حداثي، إمّا وطني أو قومي... إلخ، وهذه الحدّية ظهرت بقوّة في العقل السوري بمجمله منذ بدء الثورة، وأعمت السوريين (نظاماً ومعارضة) عن رؤية الواقع وتنوّعاته، وكانت النتائج كارثيةً. عدداً ممّن استاء من زلّات بعض السوريين، فوجعهم الدم ومصابهم كبير، كما هو مصاب أهلنا في فلسطين.

(من أسرة تلفزيون العربي)

> ظهرت الحدّية بقوّة في العقل السوري بمجمله منذ بدء الثورة، وأعمت السوريين نظاماً ومعارضةً عن رؤية الواقع وتنوّعاته

جائزة نوبل للحماقة العلمية... والسياسية

سامر خير أحمد

أقامت الدورة الرابعة والثلاثون من «جائزة نوبل للحماقة العلمية» حفلها قبل أيّام، في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا في الولايات المتّحدة، وفيه سلّم الفائزون بجوائز نوبل الحقيقية الفائزين بهذه الجوائز الفكاهية ورقةً نقدية عديمة القيمة، صادرةً قديماً من زيمبابوي، وصندوقاً شفافاً يحوي بنوداً من قوانين مورفي، المتعلّقة بالحظّ العاثر، تقديراً لهم على اهتماماتهم العلمية «التي تجعل الناس يضحكون ثمّ يُفكّرون» وفق تعليمات الجائزة، ولكن بأجواء كوميدية، لا ساخرة. لتوضيح الفكرة، من المشاريع التي فازت، مشروعٌ لتدريب الحمام على توجيه القنابل خلال الحرب العالمية الثانية، رفض المسؤولون العسكريون تطبيقه في حينها، وآخر لاكتشاف العلاقة بين شعور البقرة بالخوف ومقدرتها على إدرار الحليب، من خلال تفجير كبس ورقي بجوار قطّة تقف على ظهر بقرة، وثالثٌ عمل أصحابه على التحقّق مما إذا كان الشعر على رؤوس الناس في نصف الكرة الشمالي يدور في الاتجاه نفسه، مثل أولئك من نصف الكرة الجنوبي، أو لا.

المهمّ أنّ هذه الجائزة، التي تضمّ حقولاً في الكيمياء والفيزياء والأحياء والنبات وغيرها، جديرة بأن يكون لها نظيرٌ في حقل السياسة، على أن تكون ساخرةً حقّاً من غير مجاملات، على كثرة ما نجد في العالم من حماقات سياسية تُؤدي ملايين الناس من الشعوب الفقيرة بها، على غير حال مثيلاتها العلمية، التي يتوقّف أثرها على جهد من قاموا بها ووقتهم.

ليس ثمّة مبالغة في القول إنّ أكبر الحماقات السياسية في التاريخ العربي المُعاصر كانت قرار نظام صدّام حسين اجتياح الكويت عام 1990، إذ لم تنخدّش موارد عراقية وعربية هائلة من أجل لا شيء، وأفضى إلى تدمير القوّة العسكرية العراقية الرادعة، وتعطيل تعافي الاقتصاد العراقي عقب الحرب الطويلة مع إيران، إلى جانب تهجير ملايين العاملين في الكويت، وتعطيل المشاريع التنموية العربية المشتركة، التي كان مُخطّطاً لها.

ولقد أثبتت الأيّام أنّ تعهّد حكومة بنيامين نتنياهو الأولى (1996) تعطيل تنفيذ اتفاقات أوسلو، والتوصّل إلى حلّ نهائي في الصراع مع الفلسطينيين، يمثل حماقةً كُبرى، لأنّه أفضى اليوم إلى اشتعال الصراع في مُختلف الجبهات، بعد نحو ثلاثة عقود عاد فيها نتنياهو مراراً إلى رئاسة الحكومة، وذلك بدلاً من أن يسعى عبر اتفاقات السلام لضمان استقرار «دولته»، وتعزيز وجودها في منطقةٍ يعرف القاصي والداني أنّها غريبة عنها، ومحتلّة لها. لقد قادت تلك الحماقة أخيراً، إلى جانب ممارسات الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية، إلى اندلاع أحداث 7 أكتوبر (2023)، والحرب غير المسبوقة على قطاع غزّة. كذلك اشتعال المعركة مع المقاومة اللبنانية، التي تدخل يوماً بعد يوم فصولاً جديدةً، ما يُنذر بتطوّر الصراع العسكري في المنطقة.

ثالث الحماقات السياسية، التي تستحقّ الالتفات إليها، إقدام نظام بشّار الأسد على قتل مئات الآف من الشعب السوري، وتهجير أعداد أكبر منهم خارج البلاد، سعياً لإخماد الثورة الشعبية التي قامت ضدّه انطلاقاً من عام 2011. سرّ الحماقة هنا أنّ ما فعله كلّه لن يضمن استقرار حكمه في المدى الطويل، ولن يعيد الحياة في سورية إلى ما كانت عليه قبل الثورة، كي يواصل الحكم بالطريقة التي اعتادها منذ ورثه عن أبيه. لقد تغيّر الشعب السوري تماماً.

ثمّة حماقات سياسية أخرى تستحقّ جائزةً فعلاً، على طريقة الورقة النقدية الصادرة من زيمبابوي، منها مقترحات دونالد ترامب عشية مغادرته البيت الأبيض أواخر عام 2020، في شأن الحلّ النهائي للقضية الفلسطينية، وسمّاها «صفقة القرن». لقد اعتمد مقاربةً مالئةً ظنّاً منه أنّ كلّ شيء يخضع لمنطق «البزنس»، لعلّه لم يسمع بالمبادئ الوطنية والدينية التي تدفع الفلسطينيين والعرب والمسلمين إلى التمسّك بأرض فلسطين. أليست تلك حماقة؟

على مستوى أصغر قليلاً، هناك حماقات سياسية عربية عديدة، أبرزها جنوح بعض قادة الدول، التي شهدت ثورات الربيع العربي، إلى التمسّك بالسلطة عبر الاعيب سياسية ظنّوها ذكية، واثبتت الأيام أنّها كانت حمقاء، كتحالف الرئيس اليمني السابق علي عبد الله صالح مع الحوثيين، خصومه السابقين، ما أفضى تالياً إلى مقتله.

(كاتب من الأردن)

> الفوضى السياسية هي البيئة المُثلى لظهور الحماقات السياسية

كاريكاتير — عماد حجا

المغرب و تحوّلات الدولة والمجتمع

كمال عبد اللطيف

أصدر مركز الأبحاث والدراسات في العلوم الاجتماعية، التقرير الاستراتيجي المغربي (2020-2024) رقم 12. أنجزه فريقُ عملٍ ضمّ مجموعة من الباحثين، وأشرف على جمع وتنسيق ومراجعة موادّه خبراءُ يعملون في الجامعة المغربية. يستوعب التقرير أزيد من 40 ورقة (660 صفحة)، مع مقدمة مكثّفة للمدير العام للمركز، المدير المسؤول عن التقرير عبد الله ساعف. وقد حملت ملاحظات المُقدّمة قراءة في أكثر نتائجه أهمّية، كما بلورتها المعطيات التحليلية والإحصائية المتضمّنة في أوراقه.

ينقسم التقرير بين جزأين كبيرين، نقف في الأول منهما على خرائط العلاقات الخارجية للمغرب، المغرب والقوى العظمى، ثمّ المغرب والمنتظم الدولي. ولا يتوقّف الأمر عند هذا، إذ يتّجه لإبراز علاقة المغرب بدول الجوار، وعلاقاته بالأزمات والمآزق الحاصلة في كلّ من سورية وليبيا واليمن، وعلاقته بالقضية الفلسطينية، ليخصّص بعد ذلك أوراقاً لآفاق التعاون والتضامن المغربي العربي والأفريقي، وبعض صور تعاون المغرب مع أميركا الجنوبية. أما الجزء الثاني، فقد اتجه لبحث الحياة السياسية الداخلية، حياة المؤسّسات والأحزاب، وحركة المجتمع والتفاعلاتِ السياسية والاقتصادية والمالية، كما توقّف عند بعض أوجه السياسات العمومية، من قبيل إعداد التراب الوطني، وسياسة المدينة، والسياسة التعليمية، وبرنامج الحماية الاجتماعية، والبيئة والمناخ، والإعلام السمعي البصري والسياسة الرياضية. وفي الجزأين معاً، نقف عند حصيلة مكثّفة لمختلف صور الحركة والتحوّل، التي شاركت في تلوين مواقف المغرب وسياساته بسمات خاصّة. وهو يعتمد كثيراً من التفاصيل المهمّة في عمليات الرصد والتشخيص، والمفيدة في عملية تركيب بعض النتائج، التي ترسم المعالم الكُبرى لأبرز التحوّلات الحاصلة في مغرب النصف الأول من العشرية الثالثة للألفية الجديدة.

نتصوّر أنّ التقرير أُعِدّ لترتيب جوانب من التحوّلات الحاصلة في مغرب تتميّز أوضاعه بجملة من السمات التي تتطلّب الوقوف أمام بعض أبعادها، من أجل معاينة نمط السياسات والخيارات المرتبطة بها. نحن نشير هنا إلى السياق الدولي والإقليمي، إذ يمرّ العالم بطور من أطوار إعادة تشكّل النظام الذي يحكم علاقاته، الأمر الذي يكشف أنّ المغرب وجد نفسَه قبالة ضرورة مواجهة جيل جديد من التحدّيات، فانعكس هذا في مختلف توجّهاته الاستراتيجية، كما انعكس في أوجه عديدة من صوَر تدبيره لسياساته العامّة. ويكشف التقرير أنّ حادثة الكركرات الحدودية (اشتباكات بين المغرب وجبهة البوليساريو في الصحراء الغربية)، التي حصلت يوم 13 نوفمبر/ تشرين الثاني 2020، أدّت إلى نشوء أجواءٍ شبيهة بحالة حرب من دون أن تسمي نفسها كذلك، وهناك علامات عديدة تبرز ما نحن بصدد توصيفه، من قبيل الحرص على تموقعات استراتيجية، والقيام بمناورات عسكرية، وإنزال أسلحة عديدة إلى المنطقة، وسيادة لغة جديدة في وسائل التواصل الاجتماعي، وإطلاق العديد من البلاغات الحربية. ويستفاد من مواصفات الأجواء التي ذكرنا، أنّ الوحدة الترابية للمغرب أصبحت بمثابة البوصلة الجديدة بلغة التقرير للسياسة الخارجية المغربية.

ترتّبت على مجموع التحوّلات التي فجّرتها الحادثة المذكورة، جملة من النتائج في الخارج وفي الداخل. وضمن هذا السياق، يشير التقرير إلى اتفاقية أبراهام (2020)، التي أُبرمت في عهد الرئيس ترامب بين المغرب وإسرائيل، وربطت اعتراف أميركا بمغربية الصحراء بإقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل. وقد واكب هذا الموقف حصول نوع من التحوّل في التصوّرات الدولية عن المغرب، كما واكبه تنويع علاقاته الخارجية مع القِوى الصاعدة مثل روسيا والهند والبرازيل، إضافة إلى توسيع سياساته في التعاون مع أفريقيا، فدُشّنت المشاركة في أنبوب الغاز مع نيجيريا.

يُبرز التقرير أنّ السمة التي تُميّز المغرب (في السنوات التي يُغطّيها التقرير) ترتبط أساساً بقدرته التفاوضية مع الداخل ومع الخارج. وفي ضوء هذا، نقرأ في مُقدّمة التقرير أنّ المعطيات التي يستوعبها تتيح لنا إمكانية استشراف الأحداث في المدى الزمني القصير. نحن إذاً أمام تقرير يشخص وضعاً ستكون له انعكاسات وآثار مباشرة وقريبة. وبعض هذه الآثار نعثر على جوانب مهمّة منها مُقدمّته. ولأنّ التقرير اختار موضوعَ القدرة التفاوضية للمغرب، باعتبارها البؤرة الناظمة لسياساته في الداخل والخارج، فقد اتجه إلى بحث تجليات ذلك، مبرزاً صور حضور الدولة في مختلف مظاهر التحوّل الجارية. فتحدّث عن السلطة الواسعة التي أصبحت للدولة بعد التدابير الحمائية التي اتُّخذت عند مواجهتها وباء كوفيد - 19، والتدابير السياسية التي أنتجت في الانتخابات التشريعية (2021) تحالفاتٍ جديدة، وفضاءً سياسياً بمواصفاتٍ مُحدّدة، بعد ولايتَين تشريعيتَين تحت قيادة حزب العدالة والتنمية.

> ملفات الحركات الاحتجاجية أصبحت تتجاوز العمل النقابي التقليدي، وذلك ببروز مجموعات غير رسمية مثل التنسيقيات، ومجموعات الحراك الرقمي

لم تكتفِ الدولة بتدبير ما أشرنا إليه، بل اتجهت إلى إبراز تماسكها وصلابتها من طريق مجموعة مشاريع، فأطلقت مشاريعَ كُبرى في قطاعات البنى التحتية، في الفلاحة والتكوين المهني، وفي الصناعات والطاقات المُتجدّدة والتكنولوجيا الرقمية، والحماية الاجتماعية، وترتّب على هذا الأمر، ليس تهميش الأحزاب السياسية فقط، بل أصبحنا أمام عطالة النسيج الحي لمنظومة القيم السياسية المعارضة. وضمن مناخ تعزيز حضور نمط الدولة الجديدة، عُزّز عمل الأجهزة الأمنية، وتطوير أشكال التأطير الديني، مع محاولات تروم تقوية الحماية الاجتماعية.

ويفيد التقرير بأنّ إرادة تقوية حضور الدولة وأجهزتها، لتكون في مستوى الجيل الجديد من التحدّيات التي تواجهها، لم يوقف بروزَ حركاتٍ تُعبّر عن سخطها على الأداء الحكومي وغلاء المعيشة. كما برزت موجاتٌ احتجاجية تدعو إلى وقف معاهدة التطبيع، الأمر الذي يشير إلى أنّ ملفّات الحركات الاحتجاجية أصبحت تتجاوز اليوم العمل النقابي التقليدي، وذلك ببروز مجموعات غير رسمية، مثل التنسيقيات، ومجموعات الحراك الرقمي، وأشكالٍ جديدة من التعبئة وصناعة الرأي العام، فأصبحنا أمام ظواهر جديدة تستدعي بلغة التقرير مواصلة المتابعة. ونتصوّر أنّ أكثر نتائج التقرير أهميّة تتمثل في الملاحظة الواردة في مُقدّمته، والمتعلّقة بوضع النُّخَب، ووضع منظومة القيم في مغرب يتحرّك بفعل هزّات عنيفة داخلية وخارجية. فقد أصبح التشتّت والانقسام، بمثابة عنوانين ملازمين لنُخَب تُعاين ما يجري أمامها من دون أن يكونَ بإمكانها المشاركة في وَقْفِهِ. وفي مقابل ذلك، تسود نوع من الواقعية مُعزّزة بلغة المصالح، كما تبرز نزعاتٌ فردية أنانية وعدوانية، وتسود فوضى تُؤشّر في بعض أوجهها إلى ما يفيد الانحلال. وربّما لهذا السبب يتحدّث التقرير عن تحوّلات الدولة والمجتمع، وبدايات تشكّل جيلٍ جديدٍ من التحدّيات.

(أكاديمي مغربي)

الحرب سياسة إسرائيلية وحيدة

سمير الزبن

انتهت الاجتياحات الإسرائيلية لقطاع عزّة، بما فيها اجتياح مدينة رفح، الذي دار بشأنه جدلٌ كثير، وهي آخر الأماكن في القطاع التي يمكن ادّعاء تحقيق إنجاز عسكري إسرائيلي فيها. كما انتهى بنك الأهداف الإسرائيلي، الذي تدّعيه تلّ أبيب في القطاع، بقتل عشرات آلاف الفلسطينيين، وبهدم المباني بالجملة، وباستخدام القذائف والصواريخ أدواتِ هدمٍ للمباني، وقتلٍ للسكّان وتهجيرهم المرّة بعد الأخرى، من دون الوصول إلى أهداف الحرب، بالقضاء على حركة حماس، وبمنع أيّ تهديد جديد لإسرائيل، وباستعادة المُختطَفين، وهي الأهداف المُعلَنة من رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو للحرب الإسرائيلية القائمة على الفلسطينيين. ذلك كلّه من دون أن يُحدّد نتنياهو ما الذي يريده في اليوم التالي للحرب. ويبدو أنّه لا يريد تحديد ذلك، حتّى يجعل السيطرةَ العسكريةَ الإسرائيليةَ الدائمةَ على قطاع غزّة هي اليوم التالي للحرب.

وبصرف النظر عن شكل هذا اليوم التالي، كما يطالب الآخرون به، وفي مقدمتهم الولايات المتّحدة، فإنّ الحديث يدور معه عن حلّ سياسي ما، ولأنّ نتنياهو واليمين الإسرائيلي لا يريد أيّ حلٍّ سياسيٍّ مهما كان مُجحفاً بحقّ الفلسطينيين، يصبح استمرار الحرب بدلاً من السياسة، أو هو السياسة، وبذلك تشكّل الحربُ المستمرّة، والسيطرةُ العسكريةُ، اليومَ التالي الذي تريده حكومة نتنياهو. وبما أنّه لم يعد هناك ما يمكن اعتباره انجازاتٍ أو أهدافاً عسكريةً في القطاع، فكان على نتنياهو أن يجد بديلاً يجعل الحرب خياراً سياسيّاً وحيداً مستمرّاً، ويُقدّم إنجازاتٍ جديدةً من وجهة النظر الإسرائيلية الحكومية، فكانت إضافة إعادة المهجّرين من الشمال بفعل قصف حزب الله هدفاً من أهداف الحرب الإسرائيلية الحالية التي بدأت باستعراض القدرة العسكرية والاستخبارية الإسرائيلية في لبنان بشكل استعراضي هوليوودي، بعملية استخبارية مُعقّدة فجّرت أجهزة اتصال كوادر حزب الله، ومن ثمّ عملية القصف التي استهدفت قوة الرضوان، وهي أفضل قوات حزب الله العسكرية، وبقصف واسع لمناطقَ لبنانية سقط فيها مدنيون، وبرّرت إسرائيل هذا السقوط بأنّ حزب الله يستعمل المواطنين دروعاً بشريةً، وهي الذريعة ذاتها التي استخدمتها إسرائيل في التغطية على جرائم الحرب التي ارتكبتها في قطاع غزّة، التي أودت بحياة عشرات آلاف المدنيين في القطاع، والذريعة استخدامهم دروعاً بشرية، وهي ذريعة أصبحت ممجوجةً للتغطية على الجرائم التي ترتكبها إسرائيل.

من الواضح أنّ استهداف إسرائيل حزب الله لا يهدف إلى ضرب قدراته العسكرية فحسب، بل يهدف بشكل مباشر إلى تصعيد إقليمي من خلال جرّ إيران إلى الحرب أيضاً، وبالتالي، جرّ الولايات المتّحدة إليها. فالتصعيد ضدّ حزب الله يستهدف ردّة فعل قوية من الحزب تستدعي ردّاً إسرائيلياً متصاعداً ومتبادلاً، وصولاً إلى صدام كبير لن تستطع إيران، حسب التقديرات الإسرائيلية، أن تبقى بمنأى عنه. وفي حال دخول إيران خطّ التصعيد، لن يكون هناك خيار أمام الولايات المتّحدة سوى الدفاع عن إسرائيل حليفتها الاستراتيجية في المنطقة. هذا السيناريو الذي تراه حكومة نتنياهو الأمثل لإسرائيل للخلاص من المخاطر التي تعتقد أنها تهدّدها في المنطقة. رغم أنّ الأطراف الخارجية من هذا السيناريو لا تريد هذا المسار، لا الولايات المتّحدة تريد تصعيداً يتحول حرباً إقليميةً تجد نفسها طرفاً فيها، خاصّة مع اكتفاء الأميركيين من الحروب الخارجية بعد التجارب الفاشلة في كلٍّ من العراق وأفغانستان، فلم تعد

> استهداف إسرائيل حزب الله لا يطاول قدراته العسكرية فحسب، بل يهدف أيضاً إلى جرّ إيران والولايات المتّحدة إلى حرب أقليمية

لديها رغبة في أن تكون طرفاً في أيّ حرب في المنطقة، فقد كانت تجربتها مكلفةً ومن دون مردود. هذا لا ينطبق على إدارة الرئيس جو بادين، أو المُرشّحة الديمقراطية كامالا هاريس، فحسب، بل على المُرشّح الرئاسي الجمهوري دونالد ترامب أيضاً، فلا رغبة في حرب في المنطقة تكون الولايات المتّحدة طرفاً فيها، وبذلك تكون هذه الحرب خيار حكومة إسرائيل اليمينية، ولا يمكن الوصول إليها من دون توريط الولايات المتّحدة، وهو ما أصبح واضحاً بعد هجمات إيران الصاروخية في إبريل/ نيسان الماضي، وكان للولايات المتّحدة الدور الأساس في التصدي لها.

لا ترغب إيران في هذا التصعيد، وفي الوقت ذاته لا يمكنها أن ترى حزب الله (حليفها القوي ويدها البعيدة)، يتعرّض للتدمير من دون أن تفعل شيئاً. حتّى أنّها بعد التهديد القوي بالردّ على اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنيّة أثناء احتفالات ترسيم الرئيس الايراني الجديد في طهران، تمهلت بهذا الردّ، فتمنّى الرئيس الإيراني الجديد مسعود بزشكيان على المُرشد علي خامنئي التمهل بالردّ، لأنّ الأوضاع الإيرانية الداخلية لا تحتمل هذا التصعيد. ومن الواضح أنّ إيران لا يمكنها التضحية بأيّ من حلفائها في المنطقة، وهم أداة نفوذها الرئيس، كما لا يمكنها الدفاع عنهم من دون الحصول على السلاح النووي. اختراق إيران عتبة امتلاك هذا السلاح (ويبدو أنها مسألة وقت)، سيغيّر معادلات المنطقة، ويجعل إيران منيعةً كما تعتقد سلطاتها. وفي الوقت الذي يحميها السلاح الجديد، فهو يشكل مظلّة لحلفائها أيضاً.

(كاتب فلسطيني في استوكهولم)

هل سرق ماكرون الانتخابات البرلمانية؟

عمر كوش

جاءت تشكيلة الحكومة الفرنسية التي أعلنها رئيسها ميشيل بارنييه، أخيراً، كي تنهي حالة المماطلة والتأخير التي لجأ إليها الرئيس إيمانويل ماكرون بغية منع وصول اليسار الفرنسي من تشكيلها، وتجيير الانتخابات البرلمانية (أُجريت جولتها الثانية في السابع من يوليو/ تمّوز الماضي)، لمصلحته ولمصلحة اليمين الفرنسي، على الرغم من خسارة معسكره الانتخابات، الأمر الذي يعني أنّه تمكّن من قلب نتائجها.

وبتشكيل الحكومة، تعود فرنسا إلى عهد الحكومات الائتلافية، وبما يمثّل سابقةً في تاريخ الجمهورية الفرنسية الخامسة، وضمّت 39 وزيراً من أحزاب اليمين ويمين الوسط، وتوزّعت معظم مناصبها الوزارية بين شخصيات من «الجمهوريون» (اليميني التقليدي)، وحزب النهضة (يتزعّمه ماكرون)، إذ تولّى فيها الوزراء الموالون له وزاراتٍ رئيسةً، كالخارجية والدفاع والاقتصاد، في حين أنّ وزارة الداخلية ذهبت إلى حليفه اليميني برونو ريتايو، رئيس مجموعة اليمين التقليدي في مجلس الشيوخ، والمعروف عنه تشدّده حيال المهاجرين. السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل سيتمكّن رئيس الوزراء الجديد من تمرير تشكيلته الوزارية في البرلمان الفرنسي، الذي سيعود إلى الانعقاد في الأول من أكتوبر/ تشرين الأول المُقبل، إذ واجهت التشكيلة الوزارية الجديدة، منذ اليوم الأول لإعلانها، رفضاً من قادة أحزاب الجبهة الشعبية الجديدة، ووصفها الأمين العام للحزب الاشتراكي أوليفيه فور بـ«الحكومة الرجعية التي تُشكّل استهزاء بالديمقراطية»، ولم يتردّد في القول إنّ حزبه سيطرح حجب الثقة عنها. أمّا زعيم حزب فرنسا الأبية جان لوك ميلانشون فاعتبرها «لا تحظى بأيّ شرعية سياسية»، وأنّه ينبغي التخلّص منها سريعاً. ودعا الرئيس الفرنسي السابق فرنسوا هولاند إلى الإسراع في طرح حجب الثقة عنها.

تفيد لغة الأرقام بأنّ التشكيلة الوزارية الجديدة تحظى بدعم ما بين 215 و230 نائباً في الجمعية الوطنية الفرنسية من أصل 577 عضواً، بينما الأكثرية المطلقة تتطلّب 289 نائباً، وبالتالي فإنّ الحكومة الجديدة ستقع تحت تهديد حجب الثقة من طرف نواب أحزاب الجبهة الشعبية الجديدة (اليسارية)، ونواب حزب التجمّع الوطني (اليميني المُتطرّف)، الذي يبدو أنّ زعيمته مارين لوبان كانت موافقة على تكليف بارنييه بتشكيل الحكومة، لكنّها في المقابل تريد أن تقبض ثمن موافقة نواب حزبها على تمرير الحكومة في البرلمان، ويتوجّب على ماكرون دفعه، خاصّة على مستوى السياسات الداخلية التي ستتبعها الحكومة في مجالي التشدّد حيال الهجرة والأمن وسواهما، وبالتالي فإنّ دعوة ماكرون إلى تشكيل سدّ جمهوري لمواجهة زحف اليمين المُتطرّف قد تلاشت تماماً أمام مصالحه السياسية، وبات بقاء حكومة بارنييه أو حجب الثقة عنها مرهونٌ بإرادة نواب اليمين المُتطرّف.

يسود اعتقاد لدى بعض الأوساط السياسية الفرنسية بأنّه في حال عدم تمكّن الرئيس ماكرون من تمرير سياساته في الفترة المُقبلة، فإنّه قد يلجأ إلى خيار حلّ البرلمان في الصيف المُقبل، ولا يسمح له الدستور الفرنسي حلّه قبل مرور عام على الانتخابات. ويمثّل تمرير الحكومة الجديدة أولى الاستحقاقات أمامه، والأمر يتوقّف على مقدرته في الحصول على ثلثي أصوات النواب في الجمعية الوطنية ومجلس الشيوخ، وهذا ليس في متناول يده، لذلك فإنّ حجب الثقة عن حكومة ميشيل بارنييه سيُدخل فرنسا في بوابة تفاقم أزمتها السياسية، لكنّ المعسكر الرئاسي

> دعوة ماكرون إلى مواجهة اليمين المُتطرّف بسدّ جمهوري تلاشت أمام مصالحه السياسية، وبات مصير حكومة بارنييه مرهوناً بإرادة ذلك اليمين

يستبعد ذلك بالنظر إلى أنّ اليمين المُتطرّف سينشغل في المرحلة المُقبلة بوقائع محاكمة لوبان، التي ستمثل أمام القضاء الفرنسي في بداية أكتوبر/ تشرين الأول المُقبل، بتهمة اختلاس أموال أوروبية وصرفها لصالح حزبها، ما يعني أنّ اليسار وحده لن يتمكّن من حجب الثقة عن الحكومة الجديدة.

لا يتوقّف الأمر في فرنسا على الحكومة الجديدة، لأنّ الإشكالات والتحدّيات التي تواجه الطبقة السياسية الحاكمة كثيرة على المستوى الداخلي، وخاصّة الاقتصادي، وهي ناتجة عن السياسات النيوليبرالية التي اتبعها ماكرون منذ توليه الحكم في فرنسا، وتسبّبت في تردّي الأوضاع المعيشية لعموم الفرنسيين وخاصّةً الفئات الفقيرة والمتوسّطة. ولعلّ تمرير مشروع الميزانية للعام المُقبل سيُشكّل تحدّياً كبيراً للحكومة الجديدة، لأنّها تتطلّب توفير مليارات اليوروهات لسدّ العجز العام، الذي وصل إلى 5,6%، وقد يتسبّب ذلك في زيادة الضرائب، التي يرفض ماكرون فرضها على الأغنياء، فيما تشير تقارير اقتصادية إلى أنّ الحكومة الفرنسية يجب أن تُخفّض إنفاقها بمقدار 55 مليار يورو حتّى العام 2027. وقد حذّر الاتحاد الأوروبي فرنسا من فرض عقوبات عليها بسبب العجز الضخم، بالنظر إلى أنّ معاييره تفرض على أعضائه ألّا يزيد عجز الميزانية عن 3% من إجمالي الناتج المحلّي.

(كاتب سوري في إسطنبول)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد
(Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير معن البياري ■ مدير التحرير ارنست خوري ■ المدير الفني إميل منعم ■ السياسة جمانة فرحات ■ الاقتصاد مصطفى عبد السلام ■ الثقافة نجوان درويش ■ منوعات ليال حداد ■ المجتمع يوسف حاج علي ■ الرياضة نبيل التليلي ■ تحقيقات محمد عزام ■ مراسلون نزار قنديل

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، لندن
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب الدوحة
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب بيروت
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads